مجالس الخمروالغناءو أثرها في الأدب العربي الأَنْدَلُسِيْ: دراسة تحليلية

Wine and singing gatherings and their impact on Arab-Andalusian literature: an analytical study

Dr. Javeria
Lecturer, The Women University Multan:
ummuhammad786@gmail.com

Dr. Ghulam Sakina
PhD Arabic,
ghulamsakeena514@gmail.com

Ayesha Batool
BS. Arabic, The Women University Multan
ayeshabatool122wb@gmail.com

ABCTRACT
The litrary councils has been playing vital rolein the history of arabs,for examples: Sooqe Okazz ,Sooq Mirbad .When arabs rulled over spain getmore influence regarding poetry because the invironment of spain so pleasing. Nature has gifted to the Spain withbeautiful plains, valleys, rivers, mountains, forests, trees, flowers, orchards and parks. It is a nature that has been devoured by its noble beauty and its sights are always filled with emotions and feelings.The Spanish culture was mixed with nature and spinning, and the mixture of nature and wine was mixed, and we thought that their appetite for wine was due to the severe and violent mood in which they had been born in their permanent war against the northern Christians. The warrior lives always the violence and the demand for the arts of the effects many of them. Nature, love, wine and singing they often are using in the introduction of their majalis .They workedsinging and wine in two sections in their poetry as we made in our talk in it.
Keywords: *Sooqe Okazz ,Sooq Mirbad, Wine, Trees, Flowers, Orchards*

كان لطبيعة الأَنْدَلُس الأثر الحاسم في جعل هذا الغرض من أميزأغراض الشعر الأَنْدَلُسِيْ وتمثّل طبيعة الأَنْدَلُس العلهم الأوّل للشعرا الأَنْدَلُس،خاصَّة أن مجالس الخمر

والغناءكانت تقام في أحضان هذه الطبيعة وقد عبّر ابن خَفَاجَةَ أشهر شعرآء الطبيعة والخمر في الأَنْدَلُسِ.[1]

تتميزالأَنْدَلُس بطبيعةفاتنة في سهولها وديانها وأنهارها وجبالها وغايتها وأشجارها وأزهارها وبساتينها ومتنزهاتها، وهي طبيعة خلبت ألباب الشعرآء مناك فتغنوا بمفاتنها ومشاهدها دائماً باثين فيها عواطفهم ومشاعرهم . وكان ممَّا زادهُم شغفاًبها مامرَّ بنا من اختلافهم إلى المتنزهات والحدائق المحيطة ببلدانهم مع صواحبهم .ولذلك كثر شعرآء الأَنْدَلُس المزج بين الطبيعة والغزل وأيضاًكثيرعندهم المزج بين الطبيعة والخمر، ونحن ظنا أنْ إقبالهم على الخمر إنّما كان بسبب مزاجهم الحادالعنيف الذي ولدته فيهم حربهم الدائمة لنصارىٰ الشمال،إذ تقوم حياة المحارب دائماً على الحدة والعنف والإقبال على فنون المتاع وكان من آثار ذلك أن كثرعندهم شعرالخمرمقروناً بالطبيعة أوبها بلحبِّ و كثيراً مايسوقون ذلك في مقدمات مدائهحم ولا تستطيع الحديث عن الشعرآء الطبيعة والخمر في قسمين متقابلين كماصنعنا في حديثنا عن شعرآء الفخر والهجاء.[2]

وله قصيدة على طريقة أبي نواس تصور مغامرة له في حان من حانات الخمارين وفيها يقول :

وَلَمَّا أَتَيْتُ الَحَانَ نَادَيْتُ رَبَّهُ فَثَابَ خَفِيْفُ الرُّوْحِ نَحْوُنِدَائِيْ
فَقُلْتُ أذِ قْنِيْهَا فَلَمَّا أَذَاقِهَاطَرَحْتُ علي هرَيْطَتِي وَرِدَائِيْ

وهو يقول إنّه حين ذاق خمر صاحب الحان بلغ من نشوته بها أن خلع ملابسه وجرى بداء. أن لا نأخذ مثل هذه الخمريّه عند الغزال مأخذ الجد،فكثير من شعرالخمر.

كان يقول محاكاة لأبي نواس على سبيل الفكاهة في المجالس ومثل ذلك مايقال في وصف سقاتها والغزل بهم،فأكثرذلك وجمهوره،إنّما كان يقال على سبيل التندير والمداعبة.[3]

مجالس الخمرِ:

---

[1] شوقي ضيف:عصر الدّول والإمارات ، ص:292. *أبونواس : الديوان ، ص: 43.

[2] ابن الكتاني : كتاب التشبيهات من أشعارأهل الأَنْدَلُسِ، ص: 173.

[3] ابن الكتاني :كتاب التشبيهات من أشعارأهل الأَنْدَلُسِ، ص : 173.

الوصف للخمر وما يتّصل بها،وقصّة المغامرة مع الندمان في زيارة الحان،وفي الأوّل من هذ ين القسمين يتأثرأبونواس بمعان وتوليدات إذااقتبسها غيره أعلنت عن نفسها،كقول الشريف الطليق:

رُبَّ كأْسٍ قَدْ كَسَتْ جُنْحَ الدُّجى ثَوْبَ بُرْدٍ مِنْ سَنَاهَا يقَقا
قَام يَسْقيها رشاً في جَفْنِهِ سِنَةٌ تورثُ عيسني أرَقا.[4]

وأبْينُ من هذا حكمنا علٰى قصّة المغامرة في الحانات.فهذا اتجاه نواسيٌ لاينازع فيه صاحبه متقدم عليه.فإذا قرأنا قصيدة يحيى الغزال :

وَلَمَّارَأَيْتُ الشَّرْبَ أكَدَتْ سَمَاؤُهُمْ تَأبطتُ زِقِّيْ واحتسبْتُ عِنَائِيْ
فَلَمَّا أَتَيْتُ الْحَانَ نَادَيْتُ رَبَّهُ فَهَبَّ خَفِيْفُ الرُّوْحِ نَحْوَنِدَائِيْ.[5]

وافتنان الأَنْدَلُسيّين بأبي نواس قد يقوّي القول بعمق أثره في الشعرالأَنْدَلُسِيْ.فقد رأينا كيف أن رواياتهم تنسب إلى عباس بن ناصح الرّحلة للمشرق من أجل أن يلقاه حين سمع بنجومه،وهذا موالغزال يحاكيه،ويرى الأندلسيون في محاكاته شيأًلايقل مستواه عن شعرأ بي نواس،ومن الحكايات الدالة علٰى افتتانهم به. قول ابن شبلاق الإشبيلي:''رأيتُ في النّوم كأنّي في مقبرة ذلك أزاهيرونواوير وفيها قبرهو إليه الريحان الكثير،وقوم يشربون فكنت أقول لهم:والله مازجرتكم الموعظة ولاوقرتم المقبرة''قال:''فكانوايقولون لي''أوماتعرف قبرمن هو؟فكنت أقول لهم:''لا قال:''فقالوا لي هذا قبرأبي الحكمي الحسن بن هاني.قال: ''فكنت.أُولٰى، فيقولون والله لا تبرح أو ترثيهٌ''.[6]

جَاءَكَ يَا قَبْر نشاصُ الْغَمَامُ وَعادَ بِالْعَفْوِعَلَيْكَ السَّلَامْ
فَفِيْكَ أَضْحٰى الطَّرْفٌ مُسْتَوْدَعاً وَاستمرَتْ عَنَّا عيُوْنُ الْكَلَامْ

قال إدريس بن اليمان:

---

[4] الثعا لبي: إلٰى تيمة : 2/1 .

[5] ابن دحية الكلبي :المطرب ، ص :138*الحميدي : الجذوة ، ص :212 * ابن المواعيني: الريحان والريعان، ص :155.

[6] إحسان عباس : تأريخ الأدب الأَنْدَلُسِيْ، ص:11.4/114. 4.الحميدي : الجذوة ، ص: 255.

ثَقُلَتْ زجاجاتٌ أتتنا فُرَّغاً حتّى إذا مُلِئَتْ بصَرْفِ الرَّاحِ
خفَّتْ فَكَادَتْ أنْ تُطِيْرَ بِمَا حوَتْ إنَّ الْجَسُوْمَ تَخِفُّ بِالْأَرْوَاحِ.[7]

ومنها في وصف الكأس:

هَوَاءْ صيغَ مِنْ ضِدِّ الْهَوَاء وَشَكْلٌ مَاثِلٌ فِيْ شَكْلِ مَاءِ
إِذَاعايَنْتَهُ مَلانَ أخفى عليكَ إِنَاوُهُ ما في الإِنَاءِ
وإن مُزِ جَتْ به كأ سٌ تَبَدَّى كَنُوْرِالشَمْسِ فِيْ ثَوْبِ الْهَوَاءِ.[8]

مجالس الخمر في الأَنْدَلُسِ:

والشعرآءالأَنْدَلُسيون يسرفون في وصف مجالس القصف والمجون والطرب والشراب،فالشعرآء في المشرق أسرفوا في القول في الخمرولكن ابن شُهَيْدِ يفوقهم في اسرافه بما فيهم النواسي،إن أباعامربن شُهَيْد يبيت ليلة في كنيسة في القُرْطُبَةَ شاربا أكلا معربدا، فإذاأصبح الإصباح قال هذه الأبيات:[9]

وَلَرُبَّ حَانٍ قَدْ شَمَمْتُ بِدَيْرِهِ خَمْرَ الصَّبا مُزِجَتْ بِصِرْفِ عَصِيْرِهِ
يَتَنَاوَلُ الظُّرَفاءُ فِيْهِ وَشُرْبُهُمْ لِسُلافِهِ ، والأكلُ مِنْ خِنْزِيْرِهِ .[10]

وهذاأبوبكر محمدبن عبدالملك بن زُهْرِ يصف حال جمع من السكارى بعد أن أنهكم الشراب وغلبهم النّوم وصفاً دقيقاً بقوله:

وَمُوَ سَّدِ يْنَ علٰى الأكفِّ خُذُوْدَهُمْ قد غَالَهُمْ نومُ الصَّبَاحِ وغَالِنِيْ[11]

وكثيره كان شعر الخمر مراجاً من وصف مجلسها وأثرها في النّفوس مع غزل بالمذكر. وشعرآء الأَنْدَلُس قد أكثروا القول في غلمان إكثاراًفاق نظيرة في المشرق وربما كانت البيئة

---

[7] الحميدي : الجذوة ، ص:160.

[8] الحميدي :الجذوة ، ص: 243.

[9] الدكتورمصطفٰى الشكعه : الأدب الأَنْدَلُسِيْ،ص:51.

[10] المقّري: النفح :2/66/67.

[11]الدكتورمصطفٰى الشكعه :الأدب الأَنْدَلُسِيْ ، ص:52*ابن شهيد :الديوان ،ص:120.

المختلفة سبباً في ذلك ، فإنّ العرب لم يعرفوا الغزل بالمذكر إبان صفاء مجتمعهم من العنا صرالّتى امتزجت به حتّى ابتداء العصر العباسي.[12]

ابنُ خَفَاجَةَ يمزِجُ بين القولِ في الخمرِ والغزلِ في السَّاقِيْ في أبياتهِ :

وَسَاقٍ كحِيْلِ اللَّحْظِ فِيْ شَاءُ وَحَسَنَه جَمَاحِ وَلِلصَّبْرِ الْجَمِيْلِ حَرَانِ.[13]

ولقد عمدالشعرآءفي هذاالون من القول إلى التفنن في إبداعِ الصورالتي يقدمونها وكأَنَّهم قدأحسوا في أعماق لاشعورهم أنّ الموضوع الذي يطرقونه كدية على النّفس بعيد عن الذوق شاذ عن طبيعة الإنسان،من أجل ذلك حاولوا قدر جهدهم أن ينمقوا القول فيه ويقدموا معانيهم في ثوب مزوكش،ويمكن لمن يريد أن يطلع على نماذج من هذاالشعرأن يّراجع أبيات ابن شهيد:

فَلَمَّا تَمَلَاُمِنْ سُكْرِه وَنَامَ وَنَامَتْ عُيُوْنِ الْعَسَسْ

دَ نُوْتُ إليه عَلى بُعده دُنَوَّ رَفِيْقٍ دَرَى ماالتَمَسْ.[14]

شعرآء الطبيعة والخمر:

ومنهم عُبادة بنُ ماءِ السَّماءِ وعبدُالرّحْمن بن مقانا وعلي بن حِصْن وابن خِفَاجَة و محمد بن سفر.وكان عُبادة بحق إمام الشعرآء في زمنه،وما رواه ابنُ بَسَامٍ له منه يتميز بمتانة العبادة ونصاعتها وبحسن الأداء الموسيقى وبجمال الأخيلة ، وله مهوراًبجمال صاحبته وجمال أنا ملها التي شبهها بالعنَّاب:

سَقَى اللهُ أيَّامِيْ بِالقُرْطُبَةَ المُنَى سُرُوْاً كَرِيّ المُنْشِي مِنْ شَرَابِهِ

وَكَمْ مُزِجَتْ لِيْ الرَّاحِ بِالرِّيْقِ مَنْ يَّدِيْ أعِزَّ يُرِيْنِيْ الْحَسَنَ مِلءَ ثِيَابِهِ .[15]

ابن مَقَانَا يترای له ضوء الصبح في السّحر، في هَتف بالسَّاقي أن يملأ كأ سه قبل تكبيرالأذان، ويقول إنَّها مزة الطعم صافية باردة معتقة ،كما يقول إنّه يشربها مع فتيان كرام نجب يتهادون أزهارالمجون الأرجة وعليهم زاجرمن عفاف مع مامعهم من حسان غاضات البصر فاتنات العيون،ويقول إنّهم يسقون الخمر بأريق وكأس من عين

---

[12]ابن شُهَيْد :الديوان ،ص:120.

[13] ابن خِفَاجَة : الديوان،ص: 168، 169.

[14] ابن شهيد: ديوان ابن شهيد ، ص: 160.

[15] ابن هشام : الذخيرة :1/468.

جارية.وينتقل من وصف خمرالصّبوح أوالصباح إ لٰى نعت الطبيعة من حوله سماء ونجوماًورياضاً وأزهاراً ويبدع خياله بمثل قوله :

وَمَصَابِيْحُ الدُّجٰى قَدْ أُطْفِئَتْ فِيْ بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُوْن

وَالثُّرَيَّا قَدْ عَلَتْ فِيْ أُفْقِهَا كقَضِيْبِ زَاهِرٍمِنْ يَاسِمِيْنِ.[16]

علي بن حِصْن يتخيل الخمر الحمراء كأنَّها الشفق الأحمر ويتسع به الخيال فيقول إنّهاتُصَبُّ لا في زجاج بلّوري أومصوع من بلوربل في زجاج مصوع من نهار مضيء ويخاطب إشبيلية موطنه والنَّهريتها دي أما مها والشمس جانحة للغروب:

كأنَّكَ وَالشَّمْسَ عِنْدَالْغُرُوْبِ عُرُوْسٍ مِنَ الْحُسْنِ مَنْحُوْتَة

غَدَا النَّهرِ عِقْدِك وَالطُّوْدُ تَاجِ كِ والشَّمْسُ أعلاهُ يَاقُوْتَهْ. [17]

تواشيح الخمر:

الوشّاحون الذي أجادوا في معاني الخمر هم أنفسهم الشعرآء الذين رويت لهم مقطوعات في ذاك الميدان من القول أعجب بها النَّقاد والمتأدبون،ولا تكاد تخرج معاني الخمر في التواشيح عن معانيها في القصائد والمعطوعات الشعريّة،وفي مقدمة الشعرآء الوشّاحين الذين أحسنوا القول في هذاالسبيل يحيٰى بن بَقِيْ القُرْطُبِيْ

المتوفي سنة 540هـ الذي قضٰى حياته بين الكأس والوتر وحل العذار وله شعررقيق وموشّحات عذبة ، ومن أرق موشّحاته في جذوة المُقْتَبَسْ .

أدِ رْ لَنَا أَكْوَ ا بُ يُنسَى بِهَا ا لوَجْدُ

وَاسْتَصْحِبِ الجُلاَّسْ كمَا اقتَضَى العَهْدُ.[18]

أحسن موشّحات ابن زُهرِ موشّحة التي أوّلها:

مَدَّ الْخَلِيْجُ وَرَفَّ الشَّجَرْ لَقَدْ تَبَاهَىْ مَنْظَرُ ومُخْتَبَرْ

وأمّا الشعرالخمري فكان له نصيب وافر في الأَنْدَلُسِ وهو شعر مجالس الأندلس شعرالموائد الفخمة الحافلةالأطايب،وشعرالمياه الحرارة والأزهارالواحة والأوتارالصداحة

---

[16] الحميدي : جذوة المقبتبس، ص :260. *ابن عذاري: المغرب :1/ 413.

[17] الضبي : البغية ،ص: 143. *ابن عذاري : المغرب : 1/ 65.

[18] الدكتور مصطفٰى الشكعة : الأدب الأَنْدَلُسِيْ ،ص:416.

والكؤوس الطافحة والسقاق الخفيفي الحركة هوشعرالقدود الهيفأ التي تَمَلأَ الجومرحا وعربدة وهوأبدا شعرالسطحية الفكريَّه وشعر الفني الوصفي.[19]

الغناء:

والشيئ الذي أن لاسبيل إلى الشّك فيه،هوأن وزن الشعرالعرب كوزن غيره من الشعر،إنّما هوأثر،من آثارالموسيقى والغناء.[20]

فالكلمة العذبة اللطيفة هي التي يفوح منها عبق الموسيقى،وتتفتح المشاعر والأحاسي عند سماعها،والكلام الجميل المنظّم هوالذي يعطى اللَّحن تمامه وكماله.[21]

مجالس الغناء :

وبلغ من إسحاق أنّه كان أقل من جاءبالتخنيث في الغناءولم يكن يعرفوإنّما إحتال بحذقه لمنافرة حلقه الوتر،يجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسن له في النّمع.[22](1)

ومن الطبيعي أن يزداد تأثيرالغناء بالشعرِبازدياد نموه وتقدمه،ويتأثرالعرب بغناء غيرهم من الشعوب المجاورة،والغناءالذي عرفه الجاهليون،رغم إنّه كان في كلام عربي وأضح وراق إلّاأنّه يختلف عمَّاعرفه المغنون في العصرالأموي .[23]الموسيقى الأندلسية موسيقىٰ شرقيّة عربيّة أثرت في الموسيقى الأسبانية المحليّة. تأثرت بها منذ الفتح العربي الإسلامي.كان لزرياب أثر كبير في تطوُّرالموسيقى.[24]

ومن جمله ماأثرعن المجالس في هذا السيّاق،ماعرف عن عريب،من تتّبعها لأخبارالغناء في هذه المجالس،وتعقبها لأعمال المغنين فيها. فقد كانت تسأل دماعما

---

[19] حنا الفاخوري :الجامع في تأريخ الأدب الغربي (الأدب القديم)، ص :939.

[20] طه حسين : في الأدب الجاهلي ، ص:324.

[21] محمد علي هاشم : الأندية الأدبيّة، ص:333.

[22] الأصبهاني: إسحاق الموصلي، ص:91.

[23] شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعرالعربي، ص : 39.

[24] إدريس السنوسي:الموسيقى والغناء،. w.w.w.com/wikimaroc

يدورفيها، وتتسقط أخبارها من الذين بحضرونها، فتسأل علي بن المُنَجّم مثلاً عن خبرالأمس في مجلس الخليفةومن كان يغني وأيّ شيء إستُحْسِنَ من الغناء .[25]

الموسيقى والغناء في الشعرِ الأَنْدَلُسِيْ:

زِرْيَاب(032هـ/548 م)هوأبوالحسن علي بن نافع،ولقب بزِرْيَاب لسواد لونه وفصاحة لسانه، تشبيهاًله بطائرأسود.أوّل ماعرف عنه إنّه كان أحد موالي الخليفة العباسي المهدي ، ولكن المهدي توفّي وزِرْيَاب في التاسعة من عمره.فنشأته كانت في قصورالخلفاء، حيث الترف وحياة الدعة.وكان لزِرْيَاب اتصالٌ بالموسيقى المشهورإبراهيم المؤصلي الذي كان أحد ندماء الخليفة الهادي،وكذلك الخليفة هارون الرشيد،حيث استفاد زِرْيَاب من الموصلي من الجوالغنائي الذي كان أحد يقام في منتديات الخلفاء.[26]

فقدأحدث دخول زِرْيَاب الأندلس في عهدالأميرعبدالرّحمٰن الأوسط ثورة شاملة علٰي المجتمع القرطبي عامة ،وعلٰى فنون الغناء والموسيقى والفنون الصناعية بوجه خاص.

وأصبح زِرْيَاب بماأحدثه من تجديد في هذه الفنون الأندلسية صاحب مدرسة تسامي مدرسة إسحٰق الموصلي في بغداد.وأصبحت له طرائقأخذ ت عنه وأصوات استفيدت منه،وألفت حولها الكتب،فعلاهنالك علٰى الملوك بصناعته وإحسانه فيها علواً مفرطاً وشهرة ضرب بهاالمثل في ذلك،وقد صنّف أسلم بن أحمد بن سعيد بن القاضي أسلم بن عبدالعزيز،كتاباً في آغانية وفي طرائف غنائه وأخباره.[27]

كان ولوع الأندلس بالغناء أمراًطبيعًا،وزادهم فيه شخصيته مغنٍ لقي إقبالاًمن الملوك والأمراء،والنّاس علٰى دين ملوكهم،كمايقال:"وإذا ما ذكرنا ما لقيه زِرْيَاب من ضروب التقديروالتشجيع الذين لم يكن يحلم بهما من قبل ومن الهيمنة التامةعلٰى الأذواق وتحريك النّفوس كمايشاء،وأضفنا إليه نبوغة وأبسطنا بجانب ذلك ما في طبعية الأندلسيّين من حب بسب موقع اقليمهم الجغرافي.لم تستغربْ قط ما وصل إليه تأثيره

---

[25] النويري : نهاية الأدب في فنون الأدب، ص:5.11.

[26] عبدالعزيزسالم : القُرْطُبَةَ حاضرة الخلافة في الأندلس،الجزالثاني ، ص:87.

[27] المصدرالسبابق :87 .

الضارب في النفوس،ولم يدهشنا قراءة الكثيرعن مجالس الغناء في بلادِ الأندلسِ، بِكلِّ صقع من أصقاعها، حتّى أصبح الفلاح وهو ورآء محراثه لايقل ولعه عن ولع الأمرآء فيه''.[28]

ومن هذا نستنتج أن لزِرْيَاب الأثرالبالغ علٰى العالم الأندلسي ليس بموسيقاه فقط، بل بالذوق والأدب الاجتماعي واللّبَاقةَ التي تعلٰى بها في كلِّ مظهرفن وعلم ،لذلك كان كلّ مايقوم به أويقوله يعتبر نظاماًوقانوناً، وبالتعبيرالحالي موضعة.[29]

فقداتخذ أهل الأَنْدَلُس وخواصهم قدوه فيما سنّة لهم من آدابه ولطف معاشرته، وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة المملوكيّة مالم يجده أحد من أهل صناعته، حتّى مااستحسنةمن طعام صارإلٰى آخرأيَّام أهل الأنْدَلُسْ منسوباً إليه معلوماًبه. وقد تفنن زِرْيَاب في أنواع الأطعمة وطريقة إعدادها ممّاهوموجود في المصادر ولقبه الأندلسيون بمعلم النّاس، نظيرماعلمهم من اللطف والرقّة وأمان الذوق.[30]

وممّا اخترعه من الطبيخ،أَنّه علّم الأندلسّين طريقة الطهي العراقية . وضرورة الترتيب في تقديم الأطعمة بدلاًمّمِنْ وضعها دفعةً واحدة.[31]

وابتدع تنسيق الموائد وتنظيمها من حيث ترتيب الصحون واتخاذ السكاكين والشوك والملاعق،وحسن ترتيب الطعام علٰى المائدة وأولوية الحلة. في بدأ الأكل بالحساء أوالمقبلات ثم بالخَضَرْوَات واللحوم ثُمّ الحلوي والفاكهة.

ورأي زِرْيَاب أنْ يّلبسَ الأندلسيّون في الفصل الذي بين الحروالبرد (الربيع)من مصبغهم جباب الخز الملحم.[32]

لقد ألف زِرْيَاب ماينوف علٰى الألف من الألحان وقد قيل أنّها عشرة آلاف لحن وأغنيةبعضها كان أساساً لكثيرمن الآغاني التي استمرت قروناً عدَّة،ومنها أساس الكثيرمن الآغاني الأجنبية المعروفة في قرون الوسطى وفجرالنهضة الأوربيّة أيضاً.[33]

وأشاع زِرْيَاب في الأندلس كلّها روح الظرف وألوان شتّى من الترف والتجديد في كلّ فن،ومن ظريف ماصنعه من ذلك تعلٰى من الجواري كتابة الشعرعلٰى أثوابهنّ وعلٰى الآلات

---

[28] عبدالكريم العلاف: الطرب عندالعرب ، ص:81.

[29] سهيل زكار:مائة أوائل من تراثنا،ص:522.

[30] عبدالرّحمٰن الحجّي : تأريخ الموسيقى الأندلسيّة ، ص:34.35.

[31] سهيل زكار:مائة أوائل من تراثنا ، ص:523/

[32] أحمد مختارالعبا دي : في تأريخ العرب والأندلس، ص:4.142. 4.سهيل زكار: المصدرالسابق ، ص:523.

[33] الدكتور محمود وأحمد الحقني : سلسلة أعلام العرب ،ص:20.* الزِرْيَاب:الغناء، ص:118.119.

الموسيقيّةممّا لم يكن لهنَّ به عهد،وبقيت تلك العادة حتّى وفاته، واستمرت فيما بعد في بيوتِ المترفينَ مِنَ الحكاَّمِ والأمراءِ .[34]

مجا لس الغناء في الشعرالأَنْدَلُسِيْ:

لقد شاع الغناء في المجتمع الأَنْدَلُسِيْ وفشا،وكلف أهله بها كلفاًشديداً،فأقبلواها فيهم،علٰى الاستماع الأغاني المطربين والمطربات الذين لم يكدْ مجلس أنس يخلو منهم . ولعلّ لجمال طبيعة بلادهم وفتنتها الصارخة،وكذا رقة مشاعرهم ورهافة حسّهم ماكان له أبلغ الأثرفي هذاالنزوع الشديدإلٰى هذاالفن،الذي يفترن ذكره في الأَنْدَلُس بالمغني البغدادي أبي الحسن علي بن نافع المقلب ب"زِرْيَاب"فقد كان لهذا الطائرِالغردِ فضل كبيرفي رقّي هذا الفن وتطوُّره بالأنَدَلُسِ،وقد لقي من أميرها عبدالرّحمٰن بن الحكم من حفاوة الاستقبال وجزل العطاء ماهياً له الأرضية الخصبة للإنتاج والإبداع ، فابتكروهوبقرطبة وتراً خامساًللعود.[35]

ولم تكسف بعده شمس الحركة الغنائية بالأَنْدَلُس،بل ظلت ساطعة متوهجة بمغنين وملحنين وعازفين ملؤوا رحاب هذا الصقع الإسلامي أنغاماً والحاناً، وأسهموا في الدفع بهذا الفن قدماً، ومن الأسماء اللامعة فيه :محمد بن أحمد بن الحدادالشاعر، فقد كان له(في العروض تاليف وتصنيف مشهورمعروف،مزج فيه بين الأنحاء الموسيقية والآراء الخليلية).[36]

وكان أبوبكربن باجة متقناً لصناعة الموسيقى جيداللعب بالعود.[37]

وقد تخرج علٰى يد ابن باجة تلامذة مثل : أبي عامرمحمد بن الحمارة الغرناطي. وقد برع في الألحان، واشتهرعنه أنّه كان يعمد للشعرآء،فيقطع العود بيده،ثم يصنع منه عوداً للغنّاء،وينظم الشعرويلحنه ويغني به.[38]

---

[34] المقري : نفح الطيب: 3/128.125.

[35] ابن بسام : الذخيرة : 1.2/692.

[36] ابن أبي أصبيعة :عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص:515.

[37] ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب:2/0 12 .5.نفس المصدر:1/120 -128.

[38] ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب:2/0 12 .5.نفس المصدر:1/120 -128.

ومن تلامذة ابن باجة: إسحاق بن شمعون اليهودي القرطبي الذي وصفه ابن سعيد بأنّه" أحد عجائب الزّمان في الاقتدارعلى الألحان، وكان قد لازم ابن باجة ، وأحسن الغناء بلسانه ويده ، وكان له نظم رائق ".[39]

هذاإن الطاهرة الفنيّة الجماليّة كانت منتشرة في مختلف قواعد الأَنْدَلُسِ ومدائنهامثل المرية،فقد عرف صاحبها المعتصم بن صُمَادِح بتشجيعه للفن والآداب.وكان ابن الحداد الموسيقارالمغني الشاعرمن أبرز شعرآئه. وعرف أهل بَلَنْسِيَةَ بِحُبِّهِمْ للغناء وتلهفهم للسماعِ.وفي ذلك قال العذري:"وقد أطبعت مدينة بلنسية بقلة الهم ولاتكاد تجد فيها من يستطيع على شئ من دنياه إلّاوقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثرمن ذلك.وإنّما يتفاخرأهلها بكثرة الأغاني ويقولون:"عند فلان عودان وثلاثة وأربعة وأكثرمن ذلك ".[40]
وإذا كان هذاالفن قد تغلغل في قلوب أهل بلنسية وتملك ألبابهم حتّى بات مادة للمباهاة والتفاخرفيما بينهم،وكثرت لديهم المغنيات وكذا آلات الموسيقى، فإنّه مع ذلك ظلت إشبيلية هي من يتزعم الصدارة في هذا المجال،حتّى قال ابن رشد:" إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه،حملت إلى القُرْطُبَةَ حتّى تباع فيها. وإنّ مات مطرب بالقُرْطُبَةَ فأريد بيع آلاته،حلمت إلى إشبيلية".[41]

وهكذا فبعد ما كانت القُرْطُبَةَ هي من يتربع على عرش الغناء قبل الفتنة،أضحت إشبيلية زمن من الطوائف هي بؤرة الطرب وقطب رحاه، بينما انفردت القُرْطُبَةَ بالعلم، ولاسبيل لإنكارماكان لآل عباد من فضل في ازدهارهذا الفن بإشبيلية حيث حظي برعاية عظيمة لديهم،حتّى إنّ المعتضد بن عباد ألقيناه يودع الحياة على نغمات الموسيقى،إذ أرسل.وهوعلى فراش الموت.للصقلي المغني،فأجلسه وأنسه، وأمره بالغناء جاعلاً ما يبتدءُغنَاء به فألاً في أمره،وقد استشعرانقراض ملكه وحلول هلكه فغني:

نطوي اللّيَالِيْ عِلْماً أنْ سَتْطوِيْنَا فَشَعْشَعِيهَا بِمَاءِ الْمُزْنِ و اَسْقَيْنَا.

---

[39] العذري : نصوص عن الأندلس، ص:18.

[40] المَقري: النفح :100/1.

[41] ابن الآبار: الحلة والسيراء :35/2-54.أبو الحسن السري بن أحمد الرقاء الموصلي:أدب الطف أوشعرآء الحسين:36/2.

وقد غني من ذلك خمسة أبيات، ولخمسة أيّام مات حسب ما يذ كرابن حيان.
وكيف المُعْتَمِدْ بن عبَاد هوأيضاً بالغناء، فأكثرمن عقد مجالس الأنسِ والطربِ .وتقف في ديوانه علٰى نماذج شعرية عديدة تؤيّدُ ذلك وتؤكده،منها أنّه لمّا غني بهذين البيتين:

وَخَمَارَةٍ مِنْ بِذَاتِ الْجُوْسِ تَرَى الزّقِ فِيْ بَيْتِهَا سَائِلًا
وَزَ نًا لَهَا ذَ هَباً جَامِداً فَقَالَتْ لَنَاذَ هباً سَا ئِلًا
وقُلْنَا خذي جَوْهَراً ثَابِتاً فَقَالَتْ خُذُوْاعِوضاً زَائِلاً.[42]

وبلغ من تعلق بعض الأندلسيّن بهذاالفن إلٰى حدالقول بأنَّ لَذة العيش محصورة في الغناء والشرابِ، قال أبوعامربن مسلمة :

يَانَدِيْمِيْ قُمْ أَصْطَبِحْ وَعلَي الْعُوْدِ فَاقْتَرِحْ
إ نّمَا الْعِيْشُ بِالسَّمَا ءِ وبالنَّاي والقَدِحْ .[43]

وغني عن البيان أن المطربين كثروا في ربوع الأَنْدَلُس حتّى لايكاد مجلس أنس يخلومنهم،وبخاصة علي عهد الطوائف،إذ أحاط ملوك الطوائف أنفسهم بمشاهيرالمغنين والمغنيات مثل"الإسرائيلي"الذي كان يقارن في إحسان الصوت بإبراهيم الموصلي وكان قد غني في المجلس الذي أقامه المأمون في مجلس المكرم بقصرالناعورة وهناك المغني محمد بن الحمامي، وكان مغنياعند بني حمود .[44]

وقد عني الشعرآءبتصويرالمغنين فيها هوالنحلي يحدثنا عن مغنية بشهرته بمهارة عزفها وحسن أدائهاقاتلاً :

وَلاَعِبَةَ الوِشَّاحِ كَغُصْنِ بِانٍ لَهَا أثْرُبَتَقْطِيْعِ الْقُلُوْبِ
إِذَا سَوَّتْ طَرِيْقِ العَودِ نَقراً وَغَنَّتْ فِيْ مُحِبٍّ أوْ حَبِيْبِ
فِيْمنا ها تَقَدّبِهَا فَؤَادِيْ وَيُسْرَاهَا تَعِدّ بِهَا ذُنُوْبِيْ.[45]

ونعثرفي ديوان ابن خَفَاجَةَ علي أكثرمن مقطوعة في وصف المغنين،وحسبنا قوله يصف شاباً حسن الصوتِ:

وَمُغَرِّدٍ هَزَجِ الغناءمُطَرَّبِ تَلْقَي بِهِ لَيْلِ التَّمَامِ فَيَقْصُرُ

---

[42] المعتمد:ديوان المعتمد، ص:25.

[43] أبو الوليد الحميدي:البديع في وصف الربيع ، ص:118.

[44] ابن هِشَّام : الذخيرة : 445/402/1.

[45] المقّري: النفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :445/3.

مَلَأالْمَسَامِعَ وَالْعُيُوْنِ مَحَاسِناً وَلَمْ أَدْرِ هَلْ أَصْغِيْ إِلَيْهِ أَمْ أَنْظُرُ.[46]

ويتعرض الحُصْرِيْ القَيْروَانِيْ لذكرالأرغن في معرض مدحه للأميرأبي عبدالرّحمٰن محمد ابن طاهرالمُرْسِيْ صاحب مرسيّة :

شُهْرَتْ كالشَّمْسِ فَضَائِلُه' فَأقْرَّعداهُ وَ حُسَّدُهُ

لاَيَطْرِبُهُ التَّغْرِيْدِ وَلَوْ غَنَّيْ بِالْأَرْغَنِ مَعْبَدُهُ

وَالْخَمْرُفَلَيْسَتْ مِنْهُ وَلاَ لَعِبُ الشَّيْطَانَ وَلاَدَدُهُ.[47]

أمّا ابن حمديس فيصف الشبابة قائلاً:

وَذِيْ حُنَيْنِ نَحْنُ أَنْفُسَنَا إليه مُنْقَادَةٍ وَ مُنْجَذِبَةُ

يَفْشِيْهِ ذُوْحِكمَةِ أَنَامِلَةِ مُنْغِمَاتٌ بِزُمْرِهِ ثَقْبَةُ

يُرْسِلُ عَنْ مُنْخَرِيّة مِنْ فَمَّهُ رِيْحاً لَهَا نَغْمَةٍ مِنْ الْقَصْبَهُ

كَأَنَّ أَلْحَانَهُ الْفَصِيْحَةِ مِنْ ضَرِيْرِبَابُ الْجَنَانِ مَكتَسِبَهُ .[48]

فقد أبدي الشاعر في هذه الأبيات انبهاره بهذه الآلة الموسيقيّة وانجذابه إليها ووصفهابأنّهاقصبة ذات ثقوب ترسل أجمل الألحان وأحلي الأنغام باستعمال الفم والأنامل.وهذاالوصف ينسجم وتعريف ابن خلدون لها بأنّها قصبة جوفاء،مزدوجةبأبخاش (فتحات) في جوانبهامعدودة،ينفخ فيها فتصوّت ويخرج الصوت من جوفها علٰى سدادة من تلك الأبخاش،ويقطع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعاًعلٰى تلك الأبخاش

وضعاً متعارفاً حتّى تحدث النسب بين الأصوات فيه ". والمزمار من جنس هذه الآلة نفسها وقد أشار إليه أبومروان بن رَزِيْن في قوله :

إِذَا قُلْتَ لَمْ يَنْطِقُ فَصِيْح مذرب وَلَاسَاغَ فِيْ سَمْعِ عَنَاء وَلَازُمْرِ.[49]

وقال ابن سيدة المُرْسِيْ مشيراً إلٰى الطّنبورِ:

وَإِنْ تَشَأفَاخْتَبِرُالْأَمْلاَكاً فَلَسْتَ تَنْفِيْ فِيْهِمْ مَلاَكاً

مَامِنْهُمْ إِلَّا أَخُوْطَنْبُوْرُ وَجَالِسَ إِلَى ذَرِىْ تَنُوْ رُ

---

[46] ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة :221.

[47] أبوالحسن الحصيري: مجموع شعره :145/2. 3. ابن حمديس :ديوان ابن حمديس،ص:21.

[48] ابن خاقان : قلا ئد العقيان في محاسن الأعيان، ص:40.

[49] ابن سعيدالمُرْسِيْ : دراسة في حياته وآثاره ، ص:328.

إِذَا رَأىمُغْنِياً مَأْبُوْناً كسَاهِ دِيْبَاجاًوَسَفْلاَطُوْنَا.[50]

خلاصة البحث:

وتأسيساً علٰى ماسبق يتضح لنا أن شمسالحركة الغنائية كانت ساطعة في سماءالأندلس، لذلك لم يكن للشعرآء مندوحة من أن يجولوا في ميادينهاويحلقوا في آفاقهافتقيض شاعريتهم بشعرعذب يصورتعلق أهل الأندلس بالغناء والموسيقى، ويعكس كثرة المغنين والمغنيات في ربوعها ويشكل وثيقة نفيسة علٰى تعدّد آلات الطرب وتنوعها لديهم؛إذشملت الآلات الوترية كالعود والمزهر،وآلات النفخ كالمزماروالشبابة ، وآلات القرع كالدف.

نتائج البحث:

ومن الفائدة بمكان أن نشيرفي هذا المقام إلٰى أن فنون الموسيقي الغناء لاتزال إلٰى اليوم في إسبانياوفي البرتغال وجمهوريات أمريكاالجنوبيّة،ولاسيماالأرجنتين والبرازيل عربيّة لم يدخلهاغيرتعديل طفيف بحكم الزّمن وطوال العهد، وهذا يدل علٰى مدى أصالة الحضارة العربيّة في الأنْدَلُسِ.

[50] المقري : نفح الطيب: 3/128.125.